العمل التي لو اختلف الطفل اليها لأدرك بالعيان والحس بعض قوانين المادة وتعلم حب العامل وتعظيمه ولكانت اقل فائدة له من ذلك ملاحظة طرق الصناعة او الزراعة ان لم يباشر شيأ من اعمالها بيديه وتلك مزية اخرى له قليت شعري هل يصح في نظر العقل ان تغفل هذه الينابيع المتدفقة للعرفان وتبخس حقوقها من العناية وتكون دراسة الالفاظ هي موضوع الاهتمام والرعاية اه

آثار علمية دينية

﴿ مثال من أمثلة تسامح الاسلام وضيق صدر المسيحية ﴾

تعرض صاحب مجلة الجامعة للكلام في علم العقائد الاسلامية وهو لاشك جاهل به لانه لو عرفه لكان مسلماً او لو كان مسلما لعرفه فزعم أن علماء الكلام (وهو العلم الذي وضع لاثبات العقائد وردّ الشبه عنها) ينكرون ارتباط الاسباب بالمسببات وان كان القرآن يثبتها . وتعرض للكلام في طبيعة الدينين الاسلامي والمسيحي فزعم أن طبيعة الاسلام تنافي العلم والحكمة دون طبيعة المسيحية ولذلك ارتقت العلوم في أوربا وماتت في البلاد الاسلامية يعني ان طبيعة الاسلام حكمت على المسلمين بالجهل والغباوة والبعد عن المدنية ونتيجة هذا انهم لايرتقون الا اذا تركوا هذا الدين وصاروا نصارى «ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النَّصارى حتى تتَّبِع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى » وتعرض للكلام في تاريخ بعض حكماء الاسلام فأورد عنه مايقتضي كفره وهو غير صحيح . كل هذا في جزء واحد من أجزاء مجلته وهو أعظم جناية جناها على قارئيها من المسلمين لانه يشكك غير العالم الراسخ في دينه والشك في الدين كفر

قامت قيامة من اطلع على هذا الجزء من أذكياء المسلمين وعدوا هذه المجلة أضر عليهم من المجلات التنصرانية الدينية التي تطعن في الاسلام طعناً صريحاً لأن مجلة الجامعة تكلمهم بلسان العلم المحبوب عندهم بطبيعة دينهم فيخشى أن يغتر الغافل بما فيها وتلك المجلات والجرائد تقابلهم بالعدوان الظاهر فينفرون منها . وقد علم القراء ان المستائين رجعوا الينا والى امام من أئمتنا راغبين في الردّ ورأوا ان ذلك الامام كتب في بيان الحقيقة كتابة أثنى فيها على صاحب الجامعة وعلى مجلته على ما كان منه

وان تلك الكتابة كانت مثال الأدب والكمال الذي يليق بسعة صدر الاسلام وتسامحه مع المخالفين ، وان كانوا طاعنين وقادحين ، والتمس له العذر على طعنه بالدين القيم وبأعظم علمائه وحكمائه

ورأوا أيضاً أن المنار قد حسن الظن فيه واعتذر عنه وبرأه من سوء القصد . ولكن صاحب الجامعة لم يرض بذلك كله وأثبت لنا في الجزء الاخير انه متعمد لذلك الطعن ومصرٌّ عليه . وقد قابلنا على الاعتذار عنه بالسب والشتم

أما شتمه لنا فلاننا قلنا انه قال ما قال لأنه لايعرف علم الكلام الاسلامي فنسبنا الى الجهل بعقائد ديننا مكافأة لنا وقال ان تلك المقدمة تنتج هذه النتيجة. يعني ان « الفضيلة والحقيقة والضمير » التي يلهج بأسمائها تقضي علينا ان نقول انه لايعرف اللغة الفرنسية اذا هو قال اننا لانعرفها . وأما شتمه للامام صاحب الرد فلم يتحمل له سبباً والسبب معروف وهو تأثير النصرانية في عدم التسامح وحملها على الشدة مع المخالف بقدر الاستطاعة . وفي مصر الآن من الحرية مايسمح للصغير ، ان يتسامى ويتسلق للطعن في الكبير ، وربما زين الغرور لصاحبه ان كلام الوضيع في الرفيع هي الطريقة المثلى للانتقال من الضعة الى الرفعة لذلك نرى أكثر المتطفلين على انشاء هذه الجرائد التي تبرز كل حين في مصر ثم تمحى كفقاقيع الماء يستهلون جرائدهم بالنيل من الجرائد الغنية المنتشرة توهما انها تهتم بالرد عليهم فيكونون سواء ، وينالون مانال أولئك من الشهرة والثراء . ولا نرضى هذه الخطة للجامعة وصاحبها

قال بعض الناس الذين رأوا الجامعة الاخيرة للامام : أرأيت ماكان من صاحب الجامعة الذي أثنيت عليه وعلى مجلته حتى رفعتها الى أعلى منزلة للمجلات ... فقال الامام : « لاخسارة في حسن الأدب » ولم يزد على ذلك شيئاً

فهل يتوهم الرصيف المحترم صاحب الجامعة أن صاحب هذا الأدب الباهر يتنازل تواضعاً الى تصحيح مقاله والعناية بارشاده بعد العلم بأنه لاقابلية فيه لذلك ولا استعداد ، ولا يعرف قيمة هذا الارشاد ، أم يتوهم ان أحد تلامذته يحفل برد سفسطة الجامعة وتحريفها الكلم لأجل تصحيح أغلاطها . اما ماتفتات به على المسلمين وتتقوله على اعتقادهم فاننا نبين الحق فيه لا بصفة رد أو مناظرة بل نجعله في باب رد شبهات المسيحيين وحجج المسلمين لأن الجامعة التي كان اسمها (الجامعة العثمانية) ثم صار اسمها « الجامعة » فقط قد صارت « الجامعة النصرانية » ولا نعيب صاحبها

بخدمة الدين الذي ينتسب اليه ولكننا ننصح له بالتروي والاعتدال

« المنار » مجلة ملية كما أنها علمية ادبية وهي مع ذلك لاتتعرض لدين المخالفين الا ردًّا على ما يبتدون به على الاسلام. والجامعة لا تعترف بأنها مجلة ملية مسيحية وهي مع ذلك تطعن في الاسلام والمسلمين ابتداء. وتفتخر الكلام في ذلك افتخاراً . فهي في ظاهرها علمية ادبية صحية كالمقتطف والهلال وفي باطنها دينية ملية كراية صهيون ويشاء الاسلام والشرق ونحب لها ان يكون ظاهرها كباطنها .

قلنا ان صغار التلامذة لا يحفلون برد سفسطة الجامعة التي سمتها رداً فان القيد الذي خلقته لتصحيح زعمها انكار المتكلمين للاسباب « وهو انهم ينكرونها كما يفهم الفلاسفة) لايفيدها شيئاً . فان قولها الأول بالانكار كان مطلقاً وحكم المطلق ان يجري على اطلاقه كما هو معلوم . وقولها ان ابن رشد كفّر الاشعرية وقال بضلالهم لأمور نسبها اليهم منها انكار الاسباب الضرورية . واستدلالها بذلك على ان المتكلمين ينكرون الاسباب كما يفهمها الفلاسفة هو حجة عليها لأن ابن رشد يرد على الاشعرية بذلك ردًّا دينيا — وهو من علماء الدين الراسخين — لأنه بنى عليه التكفير والتضليل والفلاسفة لا يسمون مخالفهم كافراً فكأن ابن رشد يقول ان من انكر الاسباب فهو عند المسلمين كافر اوضالّ لأن من اصول الاسلام التي يشهدها القرآن وتنطبق على سيرة السلف والخلف المهتدين « ان الأسباب مربوطة بالمسببات وان للكون سنناً ونواميس مطردة » قال الله تعالى فيها « ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا »

وأما زعمه ان المعتزلة ليسوا من المتكلمين فكل طالب علم يعرف تقوّله فيه على المسلمين . فالمتكلمون منهم المعتزلة ومنهم الاشاعرة ومنهم الماتريدية . وكذلك الفقهاء منهم الحنفية والشافعية والمالكية . وكما اختلف هؤلاء في بعض المسائل الفقهية وكلهم فقهاء اختلف أولئك في المسائل الكلامية وكلهم متكلمون . والجميع مسلمون من اهل القبلة .

ومن أعجب المزاعم زعمه أن الاعتقاد بوجود النواميس (اي سنن الكون) والاعتقاد بتغيرها نقيضان لايجتمعان . وهو يعلم ان الفلاسفة انفسهم يقولون بإمكان تغيير النواميس بل يقولون بأن التغير حدث ويحدث بالفعل وهو مايعبرون عنه بفلتات الطبيعة . فان احتاج الفلاسفة الى تأويل هذه الفلتات فالمسلمون احوج لأن اساس هذه الفلسفة كلها قوله تعالى : « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

ومما يضحك صغار التلامذة استدلاله على معاداة الاسلام للعلم والعقل بكلمة

جارية على ألسنة العامة لايعرف قائلها وهي « من تمنطق تزندق » ويفهمون منها ان من تعلم المنطق صار زنديقاً . هذه الكلمة لعاميٍّ مجهول في شخصه وفي ملته ودينه والدليل على كونه عامياً ان معنى « تمنطق » لبس المنطقة وليس معناها انه تعلم المنطق خلافاً لما يوهمه المصباح ، يستدل بهذه الكلمة صاحب الجامعة الذي لايراعي في قوله الا الحقيقة والضمير على ما ذكره ينسى او يتناسى انه لايوجد طالب علم في المسلمين لم يقرأ المنطق وان الازهر لايعطي شهادة العالمية الا لمن يؤدي الامتحان في علم المنطق ومثله جميع المدارس الاسلامية . ومن كلام حجة الاسلام « من لا يعرف المنطق فلا ثقة بعلمه »

لابد أن يكون صاحب الجامعة قد كتب ما ذكرنا عنه وهو يعتقد انه مموِّه . ويقرب ان يكون مغتراً بما اجاب به عن تخطئته في تلخيص فلسفة ابن رشد لأن سنده في هذا الجواب ثلاثة امور (احدها) زعمه ان النساخ من العرب كانوا يحذفون من كتب ابن رشد المواضع المهمة او يبدلونها فراراً من الملام والاضطهاد . اي ان اولئك النساخ كانوا علماء بالفلسفة وبعلوم الدين ومكلفين بأن يتصرفوا بما ينقلونه بحسب معارفهم حتى يكون الكتاب مشتملا على فلسفة الناسخ لا فلسفة المؤلف . فاذا خالفوا لامهم من استأجرهم للنسخ او اضطهدهم !!!

ثانيها ان الفيلسوف رنان — الذي نزهته الجامعة عن التعصب والذي علمنا عنه انه كان اشد المتعصبين على الاسلام حتى ان السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ناظراه في باريس وارجعاه عن كثير من خطئه — قال ان العرب اخطأوا في فهم فلسفة اليونان ونقلها . ومنهم ابن رشد .

ثالثها انه « لامناص للكاتب العربي اليوم من اخذ تلك الفلسفة عن الافرنج انفسهم ولا يشترط في هذا الأخذ سوى حسن اختيار المؤلف اي ان يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق . وهذا ما توخته الجامعة » اه بنصه

ولاحتمال اغترار الكاتب بهذه المقدمات التي صحح بها قوله نبشره بأنها لا تروج عند احد طلاب العلم لأمور . (احدها) ان العرب قد اعتنوا بأمر النقل والرواية اعتناء لم يسبقهم به سابق ، ولم يلحقهم فيه لاحق ، ومن آثار ذلك انهم نقلوا فلسفة اليونان « بغاية الدقة والإتقان » وقد تعلموا اليونانية ولهم فيها قواميس . وقد اعترف لهم الافرنج المنصفون بذلك وفضلوهم به على انفسهم ومنهم سيديو المؤرخ الشهير .

(ثانيها) ان الافرنج برعوا في علوم التجربة ولكنهم لايوثق بهم في علوم النقل

فكتبهم طافحة بالكذب على الاسلام والمسلمين في دينهم وتاريخهم . قال سيديو في مبحث اشتغال العرب بالعلوم الرياضية : « وليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الافرنج ، ثم ذكرانهم زادوا عليها ما اخترعوه في هذه الفنون. وقال في أول المبحث الذي عقده في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة ارسطو ما نصه معربا : « زعم الافرنج انه لم يكن فلسفة عربية وما ذاك الا لجهلهم بأشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوربا في القرون المتوسطة مستمدة من تآليف العرب الفلسفية » الخ وقال غير ذلك بمعناه

(ثانيها) غير معقول ان الذين كانوا يستنسخون الكتب الحكمية كانوا يرضون بأن يغير النساخ فيها وغير معقول ان النساخ كانوا يستطيعون التصرف في تلك الكتب ويعملون بتلك الاستطاعة.

(رابعها) ان ما نقلته الجامعة عن الافرنج غير موثوق به لأن صاحبها غير عالم بالفلسفة فيستطيع نقلها من لغة الى لغة لأنه اذا كان لم يفهم فلسفة المتكلمين بالعربية فكيف يفهم فلسفة ابن رشد واليونان من الفرنسية ؟ ولو فرضنا انه أحسن الفهم فلا يسهل علينا أن نفرض انه حسن القصد لظهور تعصبه على الاسلام والمسلمين . وإصراره على هذا التعصب ومماراته ومكابرته فيه بعد بيان الحق له بالتي هي أحسن . وقد زعم في هذا الجزء ان المسلمين كاليهود والنصارى يعتقدون ان العالم وجد منذ بضعة آلاف من السنين وليس هذا من اعتقاد المسلمين في شيء . فما يدرينا ان كل نقله من هذا القبيل

وأما كلام الجامعة فيما سمته الأمور الجزئية فخبطها فيه الخلط بين الاصطلاحات العلمية ومعاني الكلم اللغوية . وزعمها ان ما قاله الامام في علاقة الانسان بالخالق غير صحيح لأن رنان أفرد فصلا لهذا البحث استعان فيه بكلمات ارسطو اليونانية . وهل يقول عاقل ان قول فلان غير صحيح لأن فلاناً خالفه فيه . وما يدري صاحب الجامعة ان ما قاله الامام هو الصحيح وما قاله رنان هو الخطأ ان صح نقلها عن رنان هذا وان الامام مطلع على ما كتب رنان وغيره من الافرنج وقد كتب ما كتب

(الخاتمة) نشكر في ختام القول للجامعة ولصاحبها هذا التحامل على الاسلام والمسلمين لأنه كان السبب في تصدي ذلك الامام العظيم الى بيان هذه الحقائق التي تحيي الشعور الإسلامي في نفوس المسلمين وتبعثهم الى العمل بما يرشد اليه دينهم

القويم من الرغبة في العلم والحكمة ، وإعلاء شأن الأمة ، ومعاملة المخالفين بالمحاسنة ، وان ظهروا بمظهر المخاشنة ، وليس في كلام الإمام ، الا برد الهمدون والسلام ، الداعي الى حسن الالتئام ، فلا يخشين الوصيف منه إثارة الخصام ، وان كان هو يحب الموادّة ويدعو اليها فليدع الكلام فيما يتعلق بالاسلام ، فانه ليس من موضوعه ولا يعنيه . ولا علم له بظاهره ولا خافيه ، وهذا القدر يكفيه .

جاءنا من الاستاذ الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي بنصه :

﴿ بماذا دفع العلماء نازلة الوباء ﴾

دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الازهر بقراءة متن البخاري موزعاً كراريس على العلماء وكبار المرشحين للتدريس في نحو ساعة جرياً على عادتهم من اعداد هذا المتن أو السلاح الحربي لكشف الخطوب وتفريج الكروب فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والأسل وفي الحريق مقام المضخة والماء وفي الهيضة مقام الخيطة الصحية وعقاقير الاطباء وفي البيوت مقام الخفراء والشرطة وعلى كل حال هو مستنزل الرحمات ومستقر البركات

ولما كان العلماء أهل الذكر والله يقول « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فقد جئت أسألهم بلسان كثير من المسترشدين عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله أو رأي مستدل عليه لأحد المجتهدين الذين يقلدونهم ان كانوا قد أتوا هذا العمل على انه ديني داخل في دائرة المأمور به . والا فمن أي حذاق الأطباء تلقوه ليتبين الناس منه أو من مؤلفاته عمل تلاوة متن البخاري في درء الهيضة عن الامة وان هذا داخل في نواميس الفطرة أو خارج عنها خارق لها . واذا كان هذا السر العجيب جاء من جهة أن المقروء حديث نبوي فلم خص بهذه المزية مؤلف البخاري ولم لم يجز في هذا موطأ مالك وهو أعلى كعباً وأعرق نسباً واغزر علماً ولا يزال مذهبه حياً مشهوراً . واذا جروا على أن الامر من وراء الاسباب فلم لا يقرؤه العلماء لدفع ألم الجوع كما يقرؤنه لازالة المغص أو التيء والإسهال حتى تذهب شحناء الجرابة من صدور كثير من أهل العلم وعلى هذا القياس يقرأ لكل شيء ما دامت العلاقة بين الشيء وسببه مفصومة

فان لم يستطيعوا عزو هذا الدواء الى نطاس الاطباء سألت المعلم منهم بالتواريخ

أن يرشدنا الى من سن هذه السنة في الاسلام وهل قرئ البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة فانا نعلم انه قرئ للعرابيين في واقعة التل الكبير فلم يلبثوا أن فشلوا ومزقوا شر ممزق ونسلم انه يقرأ في البيوت لتأمن من الحريق والسرقة ولكن بأجر ليس شيئاً مذكوراً في جانب أجر شركة التأمين المعروفة مع أن الناس يتسابقون اليها تسابقهم على شراء الدواء اذا نزل الداء ويعدلون عن الوقاية التي نحن بصددها وهي تكاد تكون بالمجان ويجدون في نفوسهم اطمئنانا لتلك دون هذه

فاذا لم يجد العلماء عن هذه المسألة اجابة شافية خشيت كما يخشى العقلاء حملة أهل الاقلام عليهم حملة تسقط الثقة بهم حتى من نفس العامة وحينئذ تقع الفوضى الدينية المتوقعة من ضعف الثقة واتهام العلماء بالتقصير وكون أعمالهم حجة على الدين. هذا — وقد لهج الناس بآراء على أثر الاجتماع الهيضي الازهري .

فمن قائل : ان العلماء المتأخرين من عادتهم أن يهربوا في مثل هذه النوازل من الاخذ بالأسباب والاصطبار على تحملها لمشقتها الشديدة ويلجؤن الى ماوراء الاسباب من خوارق العادات لسهولته ولإيهام العامة انهم مرتبطون بعالم أرقى من هذا العالم المعروف النظام فيكسبون الراحة والاحترام معا فيظهرون على الامة ظهور اجلال ويتملكون قلوبهم ويسيطرون على أرواحهم ولهذا تمكنوا حتى فترت شرة الوباء فقرءوا تميمتهم ليوهموا ان الخطر انما زال ببركة تميمتهم وطالع يمنهم

ومن قائل : انهم يخدعون أنفسهم بمثل هذه الاعمال بدليل ان من يصاب منهم لا يعالج مرضه بقراءة كراسة من ذلك الكتاب بل يعمد الى المجربات من النمنع والخل وماء البصل وما شابهها ويلجأ الى الطبيب ولا تلتفت نفسه الى الكراسة التي يعالج بها الامة فهذا يدل على ان القوم يعملون على خلاف ما في وجدانهم لهذه الأمة خادعين أنفسهم بتسليم اعمال سلفهم .

ومن قائل : ان عدوا من أعداء الدين الاسلامي أراد أن يشكك المسلمين فيه فدخل عليهم من جهة تعظيمه فاوحى الى قوم من متعاليه السابقين أن يعظموا من شأنه ويرفعوا من قدره حتى يجعلوه فوق ماجاءت له الاديان فيدعون كشف نوائب الايام بتلاوة أحاديث خير الأنام ويروجون ما يقولون بأنه جرب وأن من شك فيه فقد طعن في مقام النبوة حتى اذا رسخت هذه العقيدة في الناس وصارت ملكة دينية راسخة عند العوام وجربوها فلم تفلح وقعوا والعياذ بالله في الشك واصابهم دوار الحيرة كما حصل ذلك على أثر واقعة التل الكبير من كثير من الذين لم يتذوقوا الدين من المسلمين حتى كانوا يسألون عن قوة البخاري الحربية ونسبته الى البوارج ساخرين

منه ومن قارئيه ولولا وقوف أهل الفكر منهم على أن هذا العمل ليس من الدين وأن القرآن يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» الخ لضلوا وأضلوا

وقد جرأ هذا الامر غير المسلمين على الخوض في الدين الاسلامي واقامة الحجة على المسلمين من عمل علمائهم ولا حول ولا قوة الا بالله

ويقول قوم: ان التقليد بلغ بالعلماء مبلغاً حرم على العقول النظر في عمل السلف وان كذبته العيان. وخالف الحس والوجدان. ويقول آخرون ممن لا خبرة لهم بهمة العلماء في مثل هذه الكوارث: أما كان ينبغي لهم أن ينبثوا في المساجد والاندية والولائم حاثين الناس على الوقاية من العدوى معضدين الحكومة في تسكين سورة الاهلين مفاوضين في الصحة في فتح المساجد وتمهدها بالنظافة فان هذا يرتبط بهم أكثر مما يرتبط بوفد أعيان القاهرة جزاه الله خير الجزاء

فان أعوزهم البيان وخلب القلوب بذلاقة اللسان فلا أقل من أن يؤلفوا رسالة في فهم ما ورد متشابهاً في موضوع العدوى حتى يعلم الناس ان الوقاية من الداء مأمور بها شرعاً وعقلاً وسياسة فيكون كل فرد عارف عضداً للحكومة ولو طلبوا من الصحة طبع ما ألفوا وتوزيعه على المصالح والنواحي للبث ذلك شاكرة وكان لهم الأثر النافع

هذا ما يقوله القوم في شأن علمائهم نرفعه اليهم ليكونوا على بينة منه لانهم لا يختلطون بالناس غالباً الا في الولائم والمآتم وان اختلطوا فقلما يناقشونهم في شيء تحرزاً من حدتهم في المناقشة ورميهم مناظرهم لاول وهلة بالزيغ والزندقة فلذلك يجاملونهم ويوافقونهم خشية الهجر والمعاندة. أما أنا فاني لا أزال الح في طلب الجواب الشافي عن أصل دفع الوباء بقراءة الحديث وعن منح متن البخاري مزية لم يمنحها كتاب الله الذي نعتقد انه متعبد بتلاوته دون الحديث ولو كان هذا العمل من غير العلماء الرسميين لضربت عنهم وعن عملهم صفحاً ولما خططت كلمة ولكنه من علماء لهم مراكز رسمية يزاحمون بها مراكز الامراء فيجب أن يؤبه لهم وان ينظر لعملهم بازاء مركزهم من الأمة التي يسألون عنها والله ولي التوفيق (منتصح)

باب الرفيع والوراد

الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية

قد نشرنا من هذا الكتاب مقالين أحدهما اضطهاد النصرانية للعلم بمقتضى